السنة: التاسعة المجلد: 09 العدد: 01 ص ص: 170- 188
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

الثقافة ودورها في الحفاظ على الهوية
Culture and its Role in Preserving Identity

حملاوي مهتور* جامعة 20أوت1955 سكيكدة
mehtour.hamlaoui@yahoo.fr

تاريخ الاستلام 21/06/2023 تاريخ القبول: 14/12/2023

ملخص:

نسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز الدور الهام والمحوري؛ الذي تلعبه الثقافة في الحفاظ على الهوية؛ ذلك أن مفهوم الهوية يعبّر عن الوحدة والثبات في حين يحمل مفهوم الثقافة معنى التنوع والاختلاف والتغيّر، وهو ما يبرز الطابع الإشكالي لعلاقة الثقافة بالهوّية، ويدفعنا إلى محاولة إزالة اللبس والغموض الذي يكتنف الموضوع. وبرؤية تحليلية ننتهي إلى القول باستحالة الفصل بين الثقافة والهوية، وبأن الهوية تتشكل بفعل فاعلية الثقافة، ولأن لهذه الأخيرة متغيراتها وثوابتها، فإن عليها أن تثبت فاعليتها، وقدرتها على الحفاظ على ثوابتها؛ متمثلة في اللغة التي هي صدى روح الأمة والمعبرة عن أصالتها، وهي لسان شخصيتها، والحافظة لتراثها، والدين الذي هو بالنسبة للمسلمين أساس كينونتهم، وروح حضارتهم ومحركها، والتاريخ الذي هو سجّل الأمة، وديوان مفاخرها وذكرياتها، وبهذا يمكن للثقافة أن تحافظ على خصوصياتها وتعبّر عن أصالتها وتميّزها وثباتها في عالم متغيّر.

الكلمات المفتاحية: الثقافة – الهوية – الدين – اللغة – التاريخ .

*المؤلف المراسل

Abstract:

We seek through this research to highlight the important and pivotal role that culture plays in preserving identity. The latter is caused by the fact that concept of identity expresses unity and constancy, while the concept of culture carries the meaning of diversity, difference and change, which highlights the problematic nature of the relationship between culture and identity, and prompts us to try to remove the ambiguity surrounding the subject. With an analytical vision, we conclude that it is impossible to separate culture and identity, and that identity is formed by the effectiveness of culture, Because the latter has its variables and constants, it must prove its effectiveness and its ability to preserve its constants. These are constants represented in the language that is the echo of the spirit of the nation and expresses its originality. It also preserves its heritage and religion that is for Muslims the basis of their escistance, the soul and the engine of their civilization. Expresses history as well which is the record of the nation, and the collection of its glories and memories. Thus, culture can preserve its privacy, and express its originality, distinction and stability in a changing world.

Keywords: Culture, identity, religion, language, history.

مقدمة:

يعتبر مفهوم الثقافة من أهم المفاهيم، وأعمقها، وأشملها، وأوثقها صلة بحياة الإنسان والثقافة مفهوم إنساني خالص، فوحده الإنسان من يستطيع اكتساب الثقافة، وبالأحرى أن يتثقف، والحديث عن الثقافة يقترن غالبا بالهوية، وإذا كانت هذه الأخيرة تعبّر عن الثبات بالنسبة للإنسان فإن الثقافة، وعلى العكس من ذلك تحيلنا على التعدد والتنوع والاختلاف، وإذا كان الإنسان يميل دائما إلى التميز والحفاظ على هويته، فإنه سيجد نفسه ينشد هذا التميز والثبات في عالم لا تهدأ رياح التغيير فيه، وخاصة في عصرنا هذا الذي هيمنت فيه العولمة بكل صيغها، وبسطت نفوذها وسيطرتها على العالم وأصبحت الهوية بذلك كيانا مستهدفا، قد يتعرض للطمس والتشويه والتشتت، وربما التلاشي والضياع

ولذلك كان الحفاظ على الهوية ضرورة ومطلبا فرديا وجماعيا، فالإنسان يقضي حياته باحثا عن هويته ساعيا لتحقيقها، لأن الأمر يتعلق بكينونته ومصيره.

ويكتسي الحديث عن الثقافة أهمية بالغة بالنسبة للإنسان، لأنها ترتبط بالهوية، التي تتصل بالوجود الإنساني، وأصله، ومصيره، ولذلك فقد أصبح سؤال الثقافة، وسؤال الهوية وسؤال علاقة الثقافة بالهوية يطرح باستمرار من طرف الساسة، والمثقفين، والإعلاميين، وعلماء الاجتماع، وقادة الرأي العام والحقوقيين وغيرهم، حتى غدت إشكالية البحث عن الهوية الثقافية من أهم الإشكاليات المعاصرة؛ التي تشغل الدوائر العلمية والثقافية، ولعلها أكثر حدّة في بلدان العالم الثالث المهددة بشبح العولمة؛ التي هي بمثابة الصيغة الجديدة للاستعمار في عالمنا المعاصر، وقد تعددت مفاهيم الهوية الثقافية ومستوياتها وظل مفهومها غامضا وضبابيا ومشوشا، وضمن هذا السياق يأتي بحثنا هذا والذي نسعى من خلاله إلى ضبط مفهومي الثقافة والهوية، وإبراز محورية الثقافة في الحفاظ على الهوية، وهذا عبر إثارتنا لجملة من الأسئلة الهامة والمحورية، وعلى رأسها: ما مفهوم الهوية؟ ما مفهوم الثقافة؟ مامفهوم الهوية الثقافية؟ وماهي تجلياتها؟ وما هو الدور المنتظر من الثقافة أن تؤديه للحفاظ على الهوية؟ وقد اعتمدنا في معالجة إشكالية بحثنا هذا على المنهج التحليلي وبعض أوجه المنهج المقارن، واعتمدنا خطة تستجيب لمسعانا المنهجي، وهي الخطة التي اشتملت على مقدمة، وأربعة عناصر، وخاتمة، وهذا على النحو الأتي:

1. **مفهوم الثقافة**:

تشير الثقافة في اللغة إلى الخفة والفطنة (الفيروزآبادي، 2008، صفحة 218) فيقال ثقف الرجل ثقافة صار حاذقا وثقفت الشيء حذقته، والرجل المثقّف الحاذق الفهم، وغلام ثقف: أي ذو فطنة وذكاء، والمقصود أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (صليبا، 1982، صفحة 378) .

وإذا كانت الثقافة قد حظيت في الماضي باهتمام علماء الأنثروبولوجيا الذين اتجهوا نحو دراسة المجتمعات البدائية؛ فإنها قد أصبحت موضوعا للعديد من العلوم الاجتماعية، وفي مقدمتها علم الاجتماع، نظرا للارتباط بين الثقافة والمجتمع، فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، وهذا الأخير لا يقوم ويبقى إلا

بالثقافة، ومن ثم تعتمد الثقافة على وجود المجتمع، ثم هي تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لاستمرار الحياة فيه. لا فرق في ذلك بين الثقافات البدائية والحديثة، وهذا ما سمح للثقافة بأن تحتل مكانا بارزا؛ في دراسات علم الإجتماع، والدراسات الأنثروبولوجية الثقافية والإجتماعية (تومبستون، إليس، و فيلدافسكي، 1997، صفحة 8).

ويحيلنا مفهوم الثقافة بمعناه الواسع على أنماط الحياة والفكر، وهو لا يسلم أحيانا من بعض الالتباسات، ولذلك فإن فكرة الثقافة، ومنذ ظهورها في القرن الثامن عشر، كانت مثار جدل واختلاف بين المفكرين (كوش، 2007، صفحة 11)، فهناك من جعلها مقتصرة على الجانب الفكري والمعنوي، وفصل بينها وبين الحضارة مثلما فعل فلاسفة الألمان، وهناك من جعلها مرادفة للحضارة التي تجمع بين ما هو معنوي وما هو مادي، ويؤيّد هذا الطرح عالم الأنثروبولوجيا البريطاني تايلور(Tylor) (1882-1917)، الذي يعتبر تعريفه للثقافة من أشهر تعاريفها، حيث يعرّف هذه الأخيرة بقوله: "إن "ثقافة" أو"حضارة" موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعا هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع" (كوش، 2007، صفحة 30)، وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة، كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي وتأخذ طابعا إلزاميا إلى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس، وبين العناصر المكونة للثقافة (تومبستون، إليس، و فيلدافسكي، صفحة 9).

ويقدّم عالم الاجتماع الإنجليزي المعاصر أنتوني غدنز (Anthony Giddens) (1938-) تعريفا آخر للثقافة، يتفق مع تعريف تايلور لها، ويقول فيه" تعني الثقافة في نظر علماء الاجتماع جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة. ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل، وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل: المعتقدات والآراء؛ والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة، ومن جوانب عيانية ملموسة مثل:

الأشياء، والرموز؛ أو التقانة التي تجسد هذا المضمون" (غدنز، 2005، صفحة 82).

وكلمة ثقافة بالنسبة للمجتمع العربي هي كلمة حديثة وافدة من أوربا ويعتبر سلامة موسى أول من أشاع لفظ ثقافة في مقابل اللفظ الأجنبي"culture" في الأدب العربي الحديث، وقد اعترف بأنه قد انتحلها من ابن خلدون الذي استعملها في معنى شبيه بكلمة culture الشائعة في الأدب الأوربي على أنها مجموعة المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها الناس ويتثقفون بها وهي خاصة بالذهن وإن تضمنتها الكتب (عارف، 1994، صفحة 27)، وقد ذكر ابن خلدون فعلا كلمة ثقافة في مقدمته، ويظهر هذا في قوله: " وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته(...) ويلبسون على الناس في الشارة والزّي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها" (ابن خلدون، د.ت، صفحة 89).

وجاءت كلمة ثقافة في المعاجم العربية لتشير إلى الجانب الفكري في حياة الإنسانّ، ومن ذلك تعريفها في مجمع اللغة العربية على أنها "كل ما فيه استنارة للذّهن وتهذيب للذّوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية" (مجمع اللغة العربية، 1983، صفحة 38).

وقد تعددت مفاهيم مفكري المسلمين عن الثقافة، ويعتبر مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي من أهم المفاهيم التي ظهرت على الساحة الفكرية في العالم العربي الإسلامي في العصر الحديث، حيث ينظر مالك بن نبي إلى الثقافة على أنها مجموعة الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، وتكون الثقافة بذلك هي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وهو يعتبر الثقافة بمثابة الراصد الأولي الدافع إلى المبادرة، والموجه نحو اكتساح ميدان التنافس (بن نبي، 2002، صفحة 89)، وبذلك تكون الثقافة بمثابة الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع

معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر (بن نبي، صفحة 147)، وهذا يعني أنه لا توجد ثقافة واحدة وإنّما ثقافات متعددة.

2. **مفهوم الهوية**:

لا يوجد تعريف جاهز للهوية في معاجم اللغة العربية، ومع ذلك يمكننا العثور على ما يساعد في الاقتراب من معناها، ومن ذلك ما جاء في لسان العرب:" إذا عرستم فاجتنبوا "هُويّ"، وهي جمع هوة، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض" (ابن منظور، د.ت، صفحة 17)، ومن هنا أمكن القول أن الهوية في اللغة هي ما يسكن الإنسان إليه ويطمئن، ويشعر من خلاله بالأمن والاطمئنان والتميز عن الآخرين، وأن هذا الشيء يخصه وحده ولا أحد يشاركه فيه وهذا يعني أن الهوية تقتضي أن يكون الشيء هو هو، وهذا يدل على ثبات الهُوّية (مسيهر العاني، 2009، صفحة 44).

وترتد كلمة "هوية" إلى الأصول اللاتينية، وهي تحيلنا على الشبيه والمماثل وتعارض ما هو مختلف ومتنوع، وهذا يعني أن الغيرية هي شرط ابيستيمولوجي في تصور الهوية وتحققها أو وجودها (التريكي، 2010، صفحة 36)، وهذا هو المعنى الذي تشير إليه المعاجم والقواميس الغربية في مصطلح "Identité" و"Identity" (حنفي، 2012، صفحة 17).

والظاهر أن مفهوم الهوية يتداخل مع مفهوم الماهية، فالهوية في اللغة تعني أن يكون الشيء هو هو وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق والماهية أن يكون الشيء "ماهو" بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل "هو"، والمعنى واحد. وهناك من يجعل من الماهية أكثر عمقا من "الهوية"، وفي اللغات الأجنبية لكل لفظ منفصل ماهية "Essence" من اللاتينية "Esse" وهو فعل الكينونة ولفظ هوية "Identité" من الضمير "Id" أي هو (حنفي، صفحة 10)، وعلى العموم يمكن القول أن المعنى اللغوي للهوية؛ لا يخرج عن دائرة الثبات والاستقرار والتمسك بالأصل، والتشبث به، وهذا في مقابل التغير والتحول من وضع إلى وضع آخر.

وقد تعددت تعاريف المفكرين والعلماء للهوية؛ تبعا لاختلاف تخصصاتهم وتنوعها، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد تقاربا في المفهوم الذي تتبناه العلوم المختلفة للهوية، ففي علم النفس مثلا تعرف الهوية على أنها: "كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغير" (عاقل، 1985، صفحة 55)، وفي علم الكلام تعني الهوية: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (الجرجاني، د.ت، صفحة 21)، أما في الفلسفة فهي تعني: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضا" (مجمع اللغة العربية، 1983، صفحة 898)، ولا يبتعد مفهوم الهوية في علم الاجتماع كثيرا عن مفاهيمها السابقة الذكر، فهي تعني فيه:" عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية" (بدوي، 1977، صفحة 185).

وهنا يتضح لنا بأن التعاريف السابقة للهوية تتفق جميعا في أهم شيء في تعريفها، ألا وهو الخصوصية والتميّز والاختلاف عن الغير، وقد أحسن محمد عمارة التعبير عن هذا المعنى للهوية بقوله: "هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره" (عمارة، 1999، صفحة 6)، ويظهر هذا التميّز على المستوى الفردي والجماعي وهو الأمر الذي يسمح لنا بالتمييز بين نوعين من الهوية، وهما: 1ـهوية فردية: وهي تعتمد أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر من بين ملايير البشر في المعمورة وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف عمليا 2ـهوية وطنية أو قومية: نسبة إلى الوطن أو الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته (بن نعمان، د.ت، صفحة 11) الثقافية.

3. مفهوم الهوية الثقافية:

تعددت مفاهيم الهوية الثقافية وتنوعت، ومن بين المفاهيم التي قدّمت لها ما تبنته منظمة اليونسكو، والذي ينص على أن" الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء أننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم

أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر الطريقة التي ننتسب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة" (المحروقي، 2004، صفحة 146)، وينسجم هذا التعريف للهوية الثقافية مع تعريف علم النفس الإجتماعي لها، حيث ينظر إليها هذا الأخير على أنها أداة تمكّن من التفكير في تمفصل النفسي والاجتماعي لدى الفرد. إنها تعبر عن محصلة التفاعلات المتنوعة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، قريبا كان أو بعيدا. وهوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي، على أن الهوية الاجتماعية لا تتعلق بالأفراد وحسب، ذلك أن لكل مجموعة هوية، والهوية الاجتماعية استدماج وإقصاء، في الوقت نفسه، فهي تحدد المجموعة ونميزها عن المجموعات الأخرى، وهذا انطلاقا من ثقافتها (كوش، 2007، صفحة 148،149).

وهكذا تكون الهوية الثقافية بمثابة: "النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية والعامل الذي يحدد السلوك، ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة، وميزاتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل، واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة، وطموح الغد" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، د.ت، صفحة 21).

ومن خلال هذا يتضح لنا جليا ارتباط الهوية بالثقافة، وهذه الأخيرة تحمل معنى التنوع والاختلاف حيث لا توجد ثقافة واحدة بل هناك ثقافات متعددة والمؤكد أن لكل ثقافة خصوصياتها الثابتة التي تميّزها عن بقية الثقافات الأخرى، وهنا يمكننا القول بأن الهويّة الثقافيّة هي مجموعة من الملامح والأشكال والأطر الثقافيّة الأساسيّة الثابتة، التي تكشف عن الخصوصيّة التاريخيّة لمجموعةٍ ما أو أمةٍ ما، وهي تعبّر عن جملة من التراكمات الثقافيّة.

والثقافة معرفة عملية مكتسبة يحصل عليها الإنسان بعد أن لم تكن موجودة لديه فهي ليست معرفة فطرية يولد الإنسان مزودا بها، بل يحصل عليها بطرق

الاكتساب المختلفة كتقليد الوالدين والأساتذة والآخرين آو التعليم المنظم وغير المنظم، أو من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، المحلية والعالمية (السيد، 2008، صفحة 17) ثم إن الثقافة في جوهرها هي شكل الحياة الإنسانية كما يرسمها البشر؛ الذين يعيشون تلك الحياة بما فيها من معتقدات وأساليب للفكر، وغيرها، وهي الحياة التي يرسمها الناس في زمان معين ومكان معين (همشري، 2013، صفحة 187،188) .

ولأنه لا توجد، ولا يمكن أن توجد ثقافة عالمية واحدة، فإن كل ثقافة تسعى للحفاظ على هويتها، وهذه الهوية ليست معطى جاهزا وإنما هي كيان قابل للتطور، حيث أنها يمكن أن تسير نحو التألق والانتشار أو نحو التلاشي والاندثار، وهذا تبعا لقدرتها على فرض نفسها، وتمكنها من الحفاظ على مقوماتها، وثوابتها، وخصوصياتها، التي هي بمثابة الأطر المرجعية التي تعرف بها.

4. دور الثقافة في الحفاظ على الهوية:

تعبّر الثقافة في أي مجتمع عن خلاصة التجارب والخبرات، التي عاشها الأفراد في الماضي مشتملة على ما تعرضوا له من أزمات، وما حددوه من أهداف، وما استخدموه من أساليب، وما تمسكوا به من قيم ومعايير، وما نظموه من علاقات، وبهذا المعنى تعد الثقافة أساسا للوجود الإنساني للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه (مسعود، 2011، صفحة 138).

وبذلك تظهر الثقافة على أنها عنصر هام في عملية البناء الحضاري ويمكنها أن تكون طاقة مبدعة وخلاقة؛ قادرة على التفاعل مع الثقافات الأخرى؛ إذا كانت ذات مبادئ إنسانية أصيلة تحفظ لها خصوصيتها وتكشف عن تميّزها، ولا شك أن أهم تحدي يطبع واقع المجتمعات الإنسانية اليوم هو التحدي الثقافي، فقد أصبحت العولمة الثقافية تشكّل خطرا على الهوية الثقافية، فهي تسعى باستمرار إلى زعزعة ثقة شعوب العالم عامة، والشعوب العربية الإسلامية بوجه خاص بدينها، ولغتها، وتاريخها؛ بغية القضاء على هويتها الوطنية، وطمس معالمها.

وقد تفاقمت أزمة العولمة منذ القرن العشرين، حيث عمل هذا الأخير كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر إدغار موران"Edgar Morin"(1921-): "على خلق نسيج كوكبي موحد، وعمل في نفس الوقت على تجزئته، إذ أصبحت أجزاؤه معزولة، وشائكة كما دخلت في صراع مع بعضها البعض.. وفي نفس الوقت فالتدفق التقنو- صناعي يميل نحو القضاء فعلا على التعددية البشرية الإثنية والثقافية" (موران، 2002، صفحة 63) فهدف العولمة هو إنشاء جيل يتجانس ويتوافق مع الثقافة الغربية المهيمنة، لكي يسهل عليها الاتصال به والتفاهم معه.

وفي ظل العولمة "لا خيار للإنسان، الذي يحشر ويشحن في القطار الذي صنعه ويقوده الأقوياء !.. بل إن مصطلح العولمة ذاته شاهد على أنها قسر وقهر لا حرية فيها ولا اختيار، فهو مثل غيره من المصطلحات التي أتت وتأتي على "وزنه الصرفي" ـفعللةـ من مثل "القولبة"، أي القسر والقهر على قالب غير ملائم و"الفرنسة" أي القهر على أن يصبح غير الفرنسيين فرنسيين، ومثل ذلك: "الروسنة"، جعل غير الروس روسا، و"الجلنزة"، أي جعل غير الانجليز انجليزا- و"الأمركة" (عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، 1999، صفحة 13)، وعندما تصبح الثقافة تابعة للعولمة؛ فإنها تصبح خاضعة للنموذج الأمريكي في الحياة كما أنها تتسلعن أي أنها تصبح خاضعة لقيم السوق، وفي هذا تهديد للهوية (أمين و غليون، 1999، صفحة 44)، حيث تتزعزع المبادئ والأفكار والمعتقدات، فيضيع الإنسان، ويصبح بلا هوية، وبذلك يسهل احتواؤه وتوجيهه في أي اتجاه.

إن الإنسان يكيّف سلوكه وفق أفكاره ومعتقداته وثقافته، و"كل الأحكام والتقويمات والإدراكات متعلقة بالمنظومة الثقافية التي ينتسب إليها وبكلام آخر، يتم إدراك كل "واقع" من خلال منظومة ثقافية، فكأن الثقافة هي مقياس كل شيء" (خليل، 1984، صفحة 85)، وقد أدرك مهندسو العولمة بأن أية محاولة لإحداث تغيير في مجتمع ما، تستدعي العمل على تغيير ثقافته ونظرته إلى الإنسان والكون والحياة، وفلسفته في ذلك. ولذلك فهم يريدون إحلال ثقافة مكان ثقافة، ومعتقدات مكان أخرى؛ فهم "يحاولون إحلال ثقافة

اللذة العاجلة والمتعة الآنية والمصلحة المادية محل ثقافة الأمة وثوابتها، وبالتالي مسخ شخصيتها والقضاء على هويتها" (مسلم و الزغبي، 2007، صفحة 202).

ولا تكمن خطورة النموذج الأمريكي على دول العالم بصفة عامة، ودول العالم العربي الإسلامي بوجه خاص، في فرض قيم ومعايير مغايرة للقيم والثقافة العربية بل تكمن في تغيير أنساق القيم العربية السائدة، والتراث سواء الحضاري أو الديني، والذي يعد من وجهة النظر الأمريكية أداة لتكريس التخلف، ومعبرا لاستخدام العنف (خليل م.، 2007، صفحة 38).

ولذلك فقد سعى الغرب إلى عولمة الدين، لأنه يدرك جيدا قيمته وقدرته على إحداث التغيير في حياة البشر ؛ فالدين عامل توحيد وقوة، وهو ظاهرة كونية تستحوذ على التفكير والوعي الإنساني، وترافقه في مسيرته الحضارية، وهذه حقيقة أدركها وأكّدها المفكر الجزائري مالك بن نبي؛ من خلال تحليله لظاهرة الدين في كتابه "الظاهرة القرآنية"، حيث نجده يقول في ذلك: "كلّما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان، في الأحقاب الزاهرة لحضارته، أوفي المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي، وجد سطورا من الفكرة الدينية" (بن نبي، 1987، صفحة 69).

فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، ولعله ليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية، وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية. فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي- على الأقل- تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام (بن نبي، 1987، صفحة 56).

ومن هنا أمكننا القول بأن للدين أهميته وفاعليته في الحياة الإنسانية فالأمة لا يمكنها أن تُقلع حضاريا؛ إلا إذا كان منطلقها وأساسها الذي تبنى عليه أساسا دينيا، فمن "المحال أن تحافظ أية حضارة على وجودها بغير عقيدة أو فكرة أساسية عن الكون والحياة والإنسان" (الرشيدي، 2008، صفحة 27).

وقد" أكدت وقائع التاريخ، وحوادث الزمان؛ أن الناس لا يقادون إلا بالدين ولا يضحون إلا في سبيل العقيدة، إذ لا بد للإنسان من عقيدة تحفزه لفعل الخير،

والإقلاع عن الشر وتحمل المصاعب في سبيل ذلك" (علي، 1999، صفحة 28)، ولا توجد "أمة بلا دين، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر. لأن الدين عبادة عابدا ومعبودا، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا. وقد مرت البشرية بأدوار كثيرة في تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية، وتشترك الديانات السماوية الكبرى في اعتقادات تعمها، هي الاعتراف بوجود الله، وأنه خلق العالم بعد أن لم يكن، وأنه بعث الأنبياء والرسل لهداية البشر، وأن الناس سيبعثون في اليوم الآخر، يوم الحساب" (بوترو، 1973، صفحة 3).

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي منذ بضعة قرون كان يكره الإسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل ما ينتمي إليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة، فهم قوم محمد وحملة رسالته، وما تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته" (الغزالي، د.ت، صفحة 32)، ولذلك فقد سعى الإستعمار للقضاء على الإسلام، وألح على ضرورة "أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين، ومن الثقافة الإسلامية، ومن الحمية الدينية" (مسلم و الزغبي، صفحة 256)، وقد اجتهد الغرب لأجل تحقيق أغراضه في نشر العقيدة المسيحية في العالم، واستخدم شتى الوسائل لتشويه صورة الإسلام، فوصفه بالدين الرجعي المتخلف، والمعادي للعلم والمدنية والمنتج للإرهاب والتطرف.

وقد ظهرت العديد من الردود لدى بعض المفكرين؛ في العالم العربي الإسلامي بهدف الدفاع عن الإسلام، وتقديمه في صورته الناصعة والنقية؛ على أنه الدين الكوني الصالح لكل زمان ومكان، وبأنه الدين الذي لا دين بعده، وهذا ما أشارت إليه العديد من آيات القرآن الكريم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية85)،وقوله عز وجل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (سورة آل عمران، الآية 19).

وإذا ما بحثنا عن هوية الثقافة العربية الإسلامية، التي هي جوهرها وحقيقتها وثوابتها فسنجد بأن الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية الأمة؛ قد أصبح بمثابة الهوية المعبرة عن ثقافة هذه الأمة، بعد أن طبع وظل يطبع هذه الثقافة بطابعه الخاص؛

فعادات الأمة وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها، وسائر علومها، ونظرتها للكون، وللذات، وللآخر، وتصوراتها لمكانة الإنسان في هذا الكون، ومعايير المقبول والمرفوض، والحلال والحرام في المسيرة الحياتية للإنسان المسلم كل ذلك وما ماثله قد انطبع بطابع الإسلام (عمارة، صفحة 7،6)، وبذلك تميزت الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات، كالثقافة اليونانية والثقافة الفارسية والثقافة الهندية، وغيرها.

وإلى جانب الدين تظهر اللغة كمكون أساسي من مكونات الهوية الثقافية، فالثقافة روح، واللغة جسد، فلا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر ذلك أن الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، والتقاليد المتبعة، والعادات الموروثة؛ كلها قد تجسدت في اللغة، ولأن وحدة اللغة "عامل من العوامل الأساسية لازدهار ثقافة كل أمة وانتشار حضارتها عبر الأجيال والعصور؛ منذ بداية التاريخ البشري، ومنذ استئناس الإنسان بأخيه واحتكاكه به" (الجزائري، د.ت، صفحة 12)، فقد سعى منظرو العولمة، وفي سياق الغزو الثقافي لاحتواء اللغات، والترويج للغة الانجليزية، وتقديمها في صورة اللغة العصرية الخصبة والمنتجة، والقادرة على مواكبة سيرورة التقدم العلمي؛ وهنا يأتي دور الثقافة في الحفاظ على اللغة، لأنها بمثابة القوة الطبيعية الأولى لأمة ما، فهي صدى روحها، وهي المعبرة عن أصالتها، وهي لسان شخصيتها والحافظة لتراثها والضامنة لاستمرارها الروحي، والرابطة بين أجيالها إلى آخر الأيام.

وإذا كانت اللغة بالنسبة للثقافة هي مظهرها الذي تكشف عن نفسها وتعبّر عن مكنونها ومضمونها من خلاله، فإن التاريخ بالنسبة للأمم؛ هو السجل الحافظ لماضيها ورصيدها الثقافي وهو ديوان مفاخرها وذكرياتها، وبه تتميز الجماعات البشرية عن بعضها البعض؛ فكل الذين يشتركون في ماض واحد، ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة على الهوية الثقافية. وعلى ذلك يكون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه هو أحد الوسائل الناجحة لطمس معالم هويتها.

فالتاريخ هو روح الأمة ووعاء ثقافتها، وعصب حياتها، وعبره تتشكل الهوية تدريجيا وهذا في ظل علاقات اجتماعية وثقافية متشابكة ومتداخلة، فالهوية

ليست مجرد شعور خاص بهذا الشخص أو ذاك، وإنما هي جهاز انتماء (المسكيني، 2011، صفحة 16).

إن هوية الجماعة تتحدد ولا شك من خلال تاريخها الثقافي، فالتاريخ أصل حقيقي للثقافة والهوية، وينبغي للماضي أن يكون وسيلة للوعي التاريخي بالذات الحضارية، فهوية الإنسان الجزائري على سبيل المثال، لم تتشكل دفعة واحدة، بل تشكلت تدريجيا، فقد انفتح الإنسان الجزائري الأمازيغي على الإسلام والعروبة، ليدرك من خلال اتصاله بهما أنهما جوهر هويته، ومن ثم فقد اعترف بهما كمقومين ثابتين من مقومات هويته، وآمن بضرورة الدفاع عنهما، بل والتضحية لأجلهما.

وإذا كانت العولمة قد بسطت نفودها على العالم؛ فإن هذا ومن دون شك سيجعل شعوب العالم على اختلاف ثقافاتها أمام حتمية الانفتاح على الفضاء الثقافي العولمي الجديد الذي قد تضيع فيه بعض الثقافات، فاليوم و"نتيجة تطور وسائل الإعلام والاتصال فقد غزت الثقافة الغربية ونمط حياتها كل بيت، وفي كل ساعة، فقد أصبح التلفزيون الذي يبث على مدار الساعة برامجه المختلفة وبأسلوب جذاب يجعل أفراد الأسرة على مختلف مستوياتهم وبمختلف أعمارهم يتلقون هذه البرامج ويتعرضون لهذه المتغيرات بهدوء وبطواعية تامة لينصبغوا الصبغة الغربية معتقدا وثقافة وسلوكيات اجتماعية... أما شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) فلها شان آخر في عرض الأفكار والقيم والمغريات" (مسلم و الزغبي، صفحة 295).

وهنا يفترض بالثقافة في أي مجتمع أن تضع كل شيء تحت المنظار وتكون بمثابة الأداة التي ترصد وتراقب، وتغربل، وتنتقي، وتميز بين ما ينسجم وما لا ينسجم مع خصوصياتها، لأن من أسباب ضعف وتداعي الحضارة الانبهار بثقافات الأمم الأخرى، والانسلاخ عن القيم والمقومات الثقافية المعبرة عن الهوية بمفهومها الشامل.

إن الثقافة بمكتسباتها هي العنصر الحيوي والفعال؛ القادر على توجيه التفاعل مع الآخر والدخول في حوار ندّي متكافئ معه، فالثقافة أداة فاعلة لإدارة العلاقات بين الحضارات المختلفة، فبإمكانها أن تعزز من فرص التفاهم بين

شعوب العالم، وتدفعها إلى معانقة العالمية التي تنطوي على قيم الحرية والحوار والتسامح، تلك التي ضاعت وتلاشت في العولمة "فإذا كانت العالمية هي ثمرة للتفاعل الحر والاختياري بين مختلف الحضارات والذي لا ينفي تمايزها في الخصوصيات، فإن العولمة تعني القسر والقهر والإجبار على لون من الخصوصية فالعولمة هي قسر وقهر يعولم خصوصية حضارية بعينها، عندما تجتاح خصوصيات المقهورين، ففي العالمية يختار الإنسان، وفي العولمة لا خيار له" (عمارة، صفحة 13).

والملاحظ اليوم أن العلاقة القائمة بين مختلف الثقافات؛ ليست أبدا علاقة متكافئة بل هي علاقة تحكمها بصورة عامة علاقة القوي الذي يتعسف في علاقاته؛ محاولا فرض أفكاره وأساليب حياته على الضعيف بشتى الوسائل وعلى رأسها الغزو الثقافي الذي مارسته، ولا تزال تمارسه المجتمعات الغربية في تعاملها مع المجتمعات العربية الإسلامية (السيد، 2008، صفحة 112).

فقد ظل الغزو الثقافي لشعوب العالم مهيمنا، على الرغم من زوال الغزو والاستعمار العسكري؛ حيث اتخذ الغازي أساليب مختلفة ومتنوعة؛ لتحقيق الغزو الثقافي وأهدافه في جعل الثقافات ضعيفة وتابعة ومقلدة، وغير قادرة على فرض نفسها، وتحقيق هويتها الثقافية، أو شخصيتها الثقافية المستقلة على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الجماعات، ولا شك أن لكل مجتمع مهما كانت درجة تخلفه رصيده الثقافي، الذي يسعى للحفاظ عليه، فهو يتشبث بتاريخه ولغته وعاداته وتقاليده، والذي يتمسك بثقافته ويحرص على حفظها من الضياع يخرج ومن دون شك منتصرا في أي صراع يستهدف القضاء على الهوية ذلك أن الثقافة تنصهر في الهوية، وتتماهى معها.

وقد بات واضحا اليوم؛ بأن الثقافة قد تحولت إلى قوة لا يستهان بها في إدارة العلاقات بين الأمم، ومعيارا للحكم على قوتها أو ضعفها، وهذا ما أشار إليه المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي ذهب إلى التأكيد على أن غنى المجتمع لا يقاس برصيده المادي، وإنما برصيده الفكري والثقافي، فقد يحدث أن تلّم بالمجتمع ظروف أليمة، كأن تقع حرب فتمحو منه عالم الأشياء محوا كاملا أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة على ـعالم الأفكارـ فيكون ذلك خرابا ماحقا.

أما إذا استطاع أن يحفظ أفكاره وثقافته من الضياع فإنه يكون قد أنقذ كل شيء لأنه يستطيع أن يعيد بناء ـعالم الأشياءـ (بن نبي، 1988، صفحة 37).

إن المستوى الحضاري في بلد معين يقاس بمستوى الثقافة والطاقة الكامنة في المجتمع فلم تكن ألمانيا تملك سنة 1945 الآلات، ولا الماركات ولا الدولارات، ولا حتى السيادة القومية ولم تكن تملك سوى رأسمال واحد لا يمكن تدميره، ألا وهو ثقافتها، ذلك أن من أعاد بناء ألمانيا بعد سنة 1945 هو الثقافة الألمانية، وفي كل الأوقات الصعبة في التاريخ تكون الثقافة هي طوق النجاة للمجتمع، حين يتعرض لخطر الغرق (بن نبي، 1995، صفحة 52،55).

وهكذا فإن الثقافة تفرض نفسها كعنصر هام وحيوي في حياة الشعوب والأمم، والحياة تستمد معناها وجاذبيتها واستمراريتها من الثقافة فإذا كان الأفراد يذهبون ويجيئون، فإن الثقافة تبقى مستمرة، وحينما تكون الثقافة على وعي بحقيقة مكوناتها، متمسكة بأصولها وثوابتها؛ فإنها ستتمكن من فرض نفسها، وتأكيد حضورها في خضم الغزو الثقافي الذي تفرضه العولمة الثقافية، وكل هذا في إطار المسالمة والتعايش مع الآخر وتفهم المغايرة الثقافية وما تمثله من قرب أو بعد، والتفاعل بشكل إيجابي في مجالات الفكر الإنساني المتنوعة، لأنه لا مناص من التعارف ومحاولة تحقيق الائتلاف وسط التنوع والاختلاف.

لقد أصبحت الثقافة اليوم قضية حيوية، وهي سلاح ذو حدين فهي من جهة تعمل على تحقيق وتشجيع السلام العالمي، وتحقيق التعارف والتعايش بين الشعوب والأمم، ومن جهة أخرى قد تستغل وتوظف لتأجيج الصراعات والترويج للتعصب والعنف والعنصرية والتطرف الديني داخل المجتمعات وفيما بينها. لذلك فإن التعايش بين الثقافات أصبح ضروريا لاستتباب الاستقرار والسلم في العالم.، فهو حاجة ضرورية لبناء عالم أقل عنفا وأكثر إنسانية وعدلا، ولهذا فإن التحدي الأهم في قادم الأعوام والقرون هو فهم الاختلافات وتعلم كيفية تدبيرها وإرساء تواصل حي بين الثقافات (سعدي، 2012، صفحة 5).

خاتمة:

وختاما يمكننا القول بأن الثقافة عنصر حيوي هام، بل وضروري يتدخل بشكل حاسم في تحقيق إنسانية الإنسان، وتحديد هوية الشعوب والأمم، فثمة

علاقة وثيقة بين الثقافة والهوية تؤكد استحالة الفصل بينهما، ذلك أن الثقافات قد تتعدد في الهوية الواحدة، كما أن الهويات قد تتعدد في الثقافة الواحدة، والهوية تعبّر عن الجوهر، والماهية، والأصل، والحقيقة الثابتة التي لا تتغير، وهي لا تنكشف إلا عن طريق الثقافة.

إن الحديث عن الهوية يحيلنا دائما إلى الحديث عن الثقافة، وهذه الأخيرة تربطنا بشكل مستمر بمسألة الهوية، وهذا يعني أننا لن نخرج عن دائرة الحديث عن هوية الثقافة، وثقافة الهوية، والهوية الثقافية لا تحدد بشكل قبلي في حياة الأفراد، وإنما هي تتحدد بشكل بعدى في حياتهم، حيث تتدخل في تكوينها جملة من العناصر الثقافية، إذ أن لكل مجتمع ثقافته التي تحدد هوية أبنائه، وترسم معالم شخصيتهم الوطنية، وتكون الثقافة بذلك معيارا حاسما للتمييز بين شعوب العالم وأممه، ولأن الله عز وجل قد خلق البشر ليتواصلوا ويتعارفوا، ويتحاوروا، لا لكي يتباغضوا ويتصارعوا، ووسيلتهم في ذلك هي الثقافة، فإن على هذه الأخيرة ألا تميل إلى العزلة والتشرنق على الذات، وإنما عليها أن تكون متفتحة تسعى باستمرار لبناء هوية قادرة على النمو والتطور، هوية واعية بخصوصياتها الثقافية تميل إلى الربط بين حاضرها وماضيها مستغلة ذلك في رسم معالم مستقبلها، وبذلك يمكنها أن تشق طريقها نحو عالم النجاح والتألق، وتستعيد مجدها القديم .

وإذا كان يجب على الثقافة أن تحافظ على الهوية، فإن على الثقافة العربية الإسلامية أن تحافظ على هوية الأمة، وهي قادرة بفضل ما تمتلكه من مقومات، وما تحمله من صفات وعناصر الثبات الفاعلة والمؤثرة، متمثلة في الدين واللغة والتاريخ، والتي هي بمثابة أطرها المرجعية، قادرة على حفظ الهوية الثقافية لشعوب الأمة العربية الإسلامية، وهذا من خلال الفعل، والأداء والتفاعل، والتواصل، والاعتراف بالغيرية والقابلية للتعايش مع الآخر، في ظل الاختلاف والتعدد والتنوع الثقافي، لأن المعركة القائمة والصراع القائم اليوم هو صراع إثبات البقاء، والحفاظ على الخصوصية الثقافية.

□

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- أحمد بن نعمان. (د.ت). *الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات*. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والإشهار.

- أحمد زكي بدوي. (1977). *معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية*. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.

- أحمد طاهر مسعود. (2011). *المدخل إلى علم الإجتماع العام، ط1*. المملكة الأردنية الهاشمية: دار جليس الزمان.

- أحمد همشري. (2013). *التنشئة الإجتماعية للطفل، ط2*. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

- إدغار موران. (2002). *تربية المستقبل*. الدار البيضاء، المغرب- باريس، فرنسا: دار توبقال للنشر- منشورات اليونسكو.

- اسماعيل علي. (1999). *الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم(مظاهره وآثاره)، ط1*. مصر: دار الكلمة.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . (د.ت). *الخطة الشاملة للثقافة العربية، ط2*. تونس: ادارة الثقافة.

- إميل بوترو. (1973). *العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- أنتوني غدنز. (2005). *علم الإجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، ط1*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

- جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي، ج2، د.ط*. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

- حسن حنفي. (2012). *الهوية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- حمدي حسن عبد الحميد المحروقي. (2004). *دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة، عدد7*. القاهرة: مركز تطوير التعليم الجامعي عين شمس.

- خليل أحمد خليل. (1984). *المفاهيم الأساسية في علم الإجتماع*. بيروت، لبنان: دار الحداثة.

- خليل نوري مسيهر العاني. (2009). *الهوية الغسلامية في زمن العولمة، ط1*. بغداد: ديوان الوقف السني.

- دنيس كوش. (2007). *مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية، ترجمة منير السعيداني، ط1*. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

- رشدي أبو شبانة علي الرشيدي. (2008). *الصراع الحضاري بين الشرق والغرب،ط1*. المنصورة: دار اليقين.

- سمير أمين، و برهان غليون. (1999). *ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط1*. دمشق: دار الفكر.

- عبد الرحمن ابن خلدون. (د.ت). *تاريخ ابن خلدون*. عمان ، الاردن: بيت الافكار الدولية.

- عزمي طه السيد. (2008). *الثقافة الإسلامية، ط4*. عمان، الأردن: جامعة القدس المفتوحة.

- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. (د.ت). *التعريفات*. القاهرة: دار الفضيلة.

- فاخر عاقل. (1985). *معجم علم النفس، ط1*. بيروت: دار العلم للملايين.

- فتحي التريكي. (2010). *الهوية ورهاناتها، ط1*. بيروت - تونس: الدار المتوسطية للنشر.

- فتحي المسكيني. (2011). *الهوية والحرية نحو انوار جديدة*. بيروت، لبنان: جداول للنشر والتوزيع.

- مالك بن نبي. (1987). *الظاهرة القرآنية*. بيروت-لبنان، دمشق سورية: دار الفكر المعاصر، دار الفكر.

- مالك بن نبي. (1987). *شروط النهضة*. سورية: دار الفكر.

- مالك بن نبي. (1988). *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. دمشق: دار الفكر.

- مالك بن نبي. (1995). *من أجل التغيير*. دمشق: دار الفكر.

- مالك بن نبي. (2002). *تاملات*. دمشق، سوريا: دار الفكر.

- مجد الدين الفيروزآبادي. (2008). *القاموس المحيط*. القاهرة: دار الحديث.

- مجمع اللغة العربية. (1983). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

- محمد الغزالي. (د.ت). *الغزو الثقافي يمتد في فراغنا*. القاهرة: دار الشروق.

- محمد بن عبد الكريم الجزائري. (د.ت). *لغة كل أمة روح ثقافتها*. باتنة،الجزائر: دار الشهاب.

- محمد بن مكرم ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب، ج15، ط1*. بيروت: دار صادر.

- محمد سعدي. (2012). *دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، ط1*. أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

- محمد عمارة. (1999). *مخاطر العولمة على الهوية الثقافية*. القاهرة: نهضة مصر.

- محمد محمد سيد خليل. (2007). *الثقافة العربية بين الوحدة والتعدد، ط1*. القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع.

- مصطفى مسلم، و فتحي محمد الزغبي. (2007). *الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، ط1*. عمان، الأردن: إثراء للنشر والتوزيع.

- ميشيل تومبستون، ريتشارد إليس، وآرون فيلدافسكي. (1997). *نظرية الثقافة، ترجمة علي الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد223*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون .

- نصر محمد عارف. (1994). *الحضارة-الثقافة- المدنية، ط2*. عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.